٥ـــ رمية من غير رام .

٦ـــ عاد بخفى حنين .

٧ـــ عند جهينة الخبرُ اليقين .

٨ـــ كالباحث عن حتفه بظلفه.

وإلى جانب الأمثال هناك نماذج متنوعة من وصايا العرب ،ومنافراتهم ، ومن قال فى وصايا العرب :" زهير بن جناب ، أكثم بن صيفى ، وقد تميزت هذه الأساليب بالارتباط بالحياة العربية فى العصر الجاهلى ،وبحدود تطورها .

النثر الفنى فى أدب الصدر الأول ٦١٠ ـــ ٦٦١هـ

بعد ظهور الإسلام ،وانتشار الفتوحات فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ،احتاج الأمر فى عصره ،وعصر الخلفاء بعده إلى المراسلات ، التى جاءت مرتبطة بالأسلوب القرآن الكريم ،ليظهر الأسلوب الموشح[1] الذى عُرف بأسلوب القرآن الكريم فى بلاغته فى الأداء ،فتميز بالوعظ المشفوع بالقرآن الكريم .

وكان أهم مميزات الأسلوب الموشّح :

١ـــ الطابع الإرشادى والوعظى " التعليمى ".

٢ـــ الطابع الإيقاعى : التناغم بين مقاطع الكلام .

وجاء بعد ذلك من تراث ذلك العصر خطب الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[1] . الأساليب الأدبية في النثر العربى القديم . كمال اليازجى . ط: دار الجيل بيروت ١٩٨٦م .ص: ٢٤

٢ـ الأسلوب المطلق .

٤ـ الأسلوب المتوازن .

٤ـــ الأساليب الأدبية فى العصر العباسى ٧٥٠: ٩٤٥هـــ .

١ ـ الأسلوب المطلق .

٢ـ الأسلوب الترسلى .[١]

تناولت هذه الألوان الفنية أدوارها فى تطوير النثر الفنى فى ذلك الوقت ،ثم جاء عبد الله بن المقفع .

ثم كان الظاهرة المتميزة والبارزة : " عـبد الله بن المقفع ."

تحدث د. طه حسين فى كتابه نشأة النثر الفنى ، ومن حديث الشعر والنثر ،وأعماله المتنوعة عن الأدب العربى ،وفتراته المتوالية .

وحتى لا نتتبع هذه الأقاويل الطويلة ،من مؤكدٍ ،ومحايدٍ ،نقول إن ظاهرة النثر الفنى بصفةٍ خاصةٍ قد تطورت واستقرت منذ القرن الثانى الهجرى أى عصر الخلافة الأموية ،وذلك لانتشار الثقافات المختلفة ،وبداية النقل والترجمة والتعريب ،وظهور أعلام فى ذلك ـاستطاعوا أن يحدثوا ويطوروا ،ويخلقوا ألواناً متميزة فى النثر الفنى ،فظهرت أساليبه المتعددة ،كالترسل ،والأسلوب المتوازن ، وغيرها من أساليب النثر الفنى .

---

[١] ـ السابق ،ص: ٦٢

وقد تحددت ملامح النثر الفنى وأنواعه فى العصر العباسى تحديداً ،وذلك لانتشار حركات التأليف والترجمة ،والاختلاط بالثقافات الأخرى .

وكان أبرز أساليب النثر الفنى :

١ــــ الأسلوب المطلق .

٢ــــ الأسلوب المتوازن .

٣ــ الحوار القصصى الذى نشأ متعمداً على ترجمات عبد الله بن المقفع ،وحكايات كليلة ودمنة .

ويمكننا تلخيص السياق السابق ،فيما يلى :ــ[١]

من مظاهر التراث الجاهلى :

١ــ الأمثال ، الحكم ، الخُطب ، الوصايا .

٢ــ ومن الأساليب الأدبية فى عهد البعثة والراشدين :

١ــ الأسلوب الوشّح .

٢ــ الأسلوب المسجّع.

٣ــ الأسلوب المطلق.

٣ــــ ومن الأساليب الأدبية فى عهد الصدر الثانى "الدولة الأموية":

١ــــ الأسلوب المسجع .

---

[١] ـ المرجع السابق ،ص: ٢٧ ،٢٩

ثم يُدرك تلك القيمة الكبيرة ": للعقل" ،فيستطرد حديثه ،فيقول:ـــ

وللعقولِ سَجِيّاتٌ[1] وغرائزُ بها تَقبلُ الأدبَ ، وبالأدبِ تَنمى العقولُ وتزكو.

فكما أنّ الحَبّةَ المدفونةَ فى الأرض لا تقدر أن تَخلعَ يَبسَها وتُظهرَ قُوّتَها وتَطلُعَ فوق الأرضِ بزهرتِها ورَيْعِها[2] ونضرتِها ونمائِها إلا بمعونةِ الماء الذى يَغورُ إليها فى مستودَعِها فيُذْهِبَ عنها أذى اليبسِ والموتِ ويُحْدِثَ لها بإذنِ الله القوّةَ والحياةَ ، فكذلك سليقةُ[3] العقل مكنونةٌ فى مَغرِزِها من القلب: لا قُوّةَ لها ولا حياةَ بها ولا منفعةَ عندَها حتى يعتملَها الأدبُ الذى هو ثمارُها وحياتُها ولِقاحُها.

وجُلُّ الأدبِ بالمنطق وجُلُّ المنطق بالتعلّم. ليس منه حرفٌ من حروفِ مُعْجَمِهِ ، ولا اسمٌ من أنواعِ أسمائِه إلا وهو مَرْوِىٌّ ، مُتَعَلَّمٌ ، مأخوذٌ عن إمامٍ سابقٍ ، من كلامٍ أو كتابٍ.

وذلك دليلٌ على أنّ الناسَ لم يبتدعوا أصولَها ولم يأتِهِمْ عِلْمُها إلا من قِبَلِ العليمِ الحكيمِ.

العقل.

يرتبط العقل فى قول ابن المقفع بخصالٍ كثيرة ،وحميدة ،واستخدم كما هو واضح ذلك التمثيل الكنائى " للحبة " التى يُشير من خلالها إلى أنها لاتقوى على أمرها بدون عوامل تساعدها ، هى : الماء الذى يمدها بالحياة والنضارة ثم

١ـ سجية : طبيعة.
٢ـ ريع : نمو.
٣ـ سليقة : طبيعة.

يرتبط ذلك كله بمفهوم الأدب ،أى أن العقل لابد له من خُلق وأدب يمده بالتميز والعطاء .

ويقول :

فإذا خرَجَ الناسُ من أن يكونَ لهم عملٌ أصيلٌ وأن يقولوا قولاً بديعاً فليعلم الواصفونَ المُخبِرونَ أنَّ أحدهم ، وإنْ أحسنَ وأبلغَ ، ليس زائداً على أن يكون كصاحب فُصوص[1] وجدَ ياقوتاً وزبرْجَداً ومرجاناً[2] ، فنظَمَهُ قلائدَ[3] وسُموطاً[4] وأكاليلَ[5] ، ووضع كلَّ فصٍّ موضعه ، فسُمِّيَ بذلك صانعاً رفيقاً ، وكصاغةِ الذهب والفضَّةِ ، صنعوا منها ما يُعْجِبُ الناسَ من الحُلىِّ والآنيةِ ، وكالنحلِ وجدَتْ ثمراتٍ أخرجها اللهُ طيِّبةً، وسلكتْ سُبُلاً جعلها اللهُ ذُلُلاً[6]، فصار ذلك شفاءً وطعاماً ، وشراباً منسوباً إليها ، مذكوراً به أمرُها وصنعتُها.

فمَنْ جرى على لسانه كلامٌ يستحسنُه أو يُستحسَنُ منه ، فلا يَعجبَنَّ إعجابَ المخترعِ المبتدِع ، فإنَّه إنَّما اجتباه كما وَصفْنا.

۞

ومَنْ أخذَ كلاماً حسناً عن غيره فتكلَّمَ به في موضعه وعلى وجهه ، فلا تزيَنَّ

١- الفص : ما يركب بالخاتم من حجارة كريمة.
٢- الياقوت والزبرجد والمرجان : من الحجارة الكريمة.
٣- القلادة : حلية من الجواهر توضع فى العنق.
٤- سمط : العقد ، من حلى العنق أيضا ، وهو طويل يتدلى.
٥- الإكليل : عصابة تزين بالجواهر وتضعها المرأة على شعرها .
٦- ذللاً : مفردها ذلول : سهول.

العقل: هو الذى يُميز الإنسان عن سائر المخلوقات شرفاً ومكانة ،ورؤية صائبة لكلّ أمور حياته .

والعقل يختلف من إنسانٍ إلى آخرٍ ، حسب الدُربة والفهم والمهارة فى إدراك الأمور ،وفهمهما ،لذلك تميزت كلّ المخلوقات بحاجاتٍ تتطلبها للحياة ، وتميز الإنسان عن المخلوقات بسجية العقل .

يقول ابن المقفع فى ذلك المفهوم .

أما بعد ، فإنّ لكلّ مخلوقٍ حاجةً، ولكلّ حاجةٍ غايةً ، ولكلّ غايةٍ سبيلاً والله وقّتَ[١] للأمور أقدارَها[٢]، وهيّأ إلى الغاياتِ سُبُلَها ، وسبّبَ[٣] الحاجاتِ ببلاغها[٤].

فغايةُ الناس وحاجاتهم صلاحُ المَعاشِ[٥] والمَعادِ[٦]، والسبيلُ إلى دَركها[٧] العقلُ الصحيحُ. وأمارةُ[٨] صحّةِ العقلِ اختيارُ الأمورِ بالبَصرِ[٩]، وتنفيذُ البصرِ بالعزمِ.

هنا يتدبر ابن المقفع حاجات المخلوقات فى المعاش والحياة ،والسُبل إلى ذلك .

١- وقّت : حدّد.
٢- قدر للأمر : نظر اليه ودبّره.
٣- سبّب : أوجد.
٤- بلغ : وصل.
٥- المعاش : حالة الإنسان فى حياته.
٦- المعاد: الآخرة.
٧- درك : وصول.
٨- أمارة : علامة.
٩- البصر : العلم بعواقب الأمور.

وخطب الخلفاء ،التى اعتمدت على الأسلوب المطلق ،ومن أهم مميزاته الاعتماد على الدراية ،والحكمة عهـــــد الأمويين . ٦٦١هـــ ينتهى بمروان الثانى ٧٤٩هـــ .

تميز النثر الفنى بداية من هذا العصر بالازدهار والانتشار ،لما حدث فيه من تغير كبير فى جوانب الحياة السياسية ،والصراعات بين الخلفاء ..

فجرت فنون المراسلات بأسلوبها المطلق ،الذى تميز ، بالعنف ،والشدة والإنذار والوعيد ..

ومن أهم أساليب النثر الفنى فى العصر الأموى .

١ـ الأسلوب المسجّع .الذى يرتبط أحياناً بالقرآن الكريم ،ويتميز بالعنف تعدد المواعظ ،وكان أهم خطباء ذلك العصر : " زياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف الثقفى .

٢ـ الأسلوب المطلق . اعتمدوا فيه على خبراتهم ،وحنكتهم فى الاسترسال ،وتناول المعانى الحضارية الرقيقة ،وكان الحسن البصرى من أهم ممن تحدثوا به[1] .

وامتداداً لهذا الأسلوب المُطلق ظهرت فنون النثر والكتابة والمراسلات ،وكان عبد الحميد بن يحيى الكاتب من أبرز كُتّاب النثر الفنى فى ذلك الوقت .

---

[1] ـ الأساليب الأدبية في النثر القديم . كمال اليازجى .ط. دار الجبل - بيروت .ص: ٤٠

يتحدد النثر الفنى فى الأدب القديم بأقاويل كثيرة ومتنوعة ، حاول زكى مبارك فى كتابه عن النثر الفنى فى القديمة أن يُحدد آثاره ،وأن يتتبع ظواهره ،حاول أن يثبت وجود هذا اللون الفنى فى العصر الجاهلى .

المناخ الأدبى للنثر الفنى فى العصر الجاهلى .

اهتم العرب فى العصر الجاهلى بالشعر ،ونقصد بفترة العصر الجاهلى تلك الفترة التى تلاها ظهور الإسلام ،وربما المائة سنة قبل البعثة المحمدية ، وما وصل إلينا منها كما جاء به المؤرخون عن تاريخ الأمم ،يتوقف عند الشعر ،لأن النثر يحتاج إلى بصيرة نافذة ،تستوعب الأمور ،لأنه لسان حال العقل ،فقد توقف تراث العرب فى الجاهلية ـــ ربما ـــ عند فنون الشعر إلى جانب تراثها من الأمثال والحكم .

ومن أهم نموذج هذه الأمثال :[1]

١ـ إستوق الجمل

٢ـ أن تسمع بالمعيدى خيرٌ من أن تراه .

٣ـــ أهدى من قطاة .

٤ـ أثقل من أُحد.

---

[1] ـ انظر ،النثر الجاهلى . زكى مبارك ،وأمثال العرب ،للميدانى ،وطه حسين ،نشأة النثر الفنى ،والنثر الجاهلى .